لا تقل أنك رسبت

سامح أحمد عبد الرحيم

لا تقل أنك رسبت

وقصص أخرى

سامح احمد عبد الرحيم

إهداء

إلي دفعتي ..

ملوك وملكات تربية أساسي – سوهاج ٢٠٢٠

ذهبت مع صديقي الفاشل إلى صديقي الدحيح، وكانت ليلة الامتحان، وقال الأول: لا يبدو أننا سننجح غدًا، فالمادة صعبة وتحتاج لشهر، وشغل الثاني تسجيلات المحاضرات، وجلست في ركن الغرفة، وأخرجت هاتفي وأخذت أكمل كتابة القصة القصيرة.

رأيتني كاتبًا مشهورًا، وانعقد حفل توقيع آخر رواياتي، وإذ بالقراء يدخلون وفي أيديهم نسخ الرواية، وأخذت أكتب لهم إهداءات بأسمائهم وهم يبتسمون، وبعد انصراف القراء، أخبرني الناشر أن المبيعات ممتازة، وعدتُ لمنزلي مع صديقي مطرب المهرجانات شواحة، وجلسنا في مكتبي، وراح يغني:

«دي حبيبتي سيباني علشان واحد تاني معلهش يا حبيبتي من بعدي هتعاني».

مقدمة

«لا تقل أنك رسبت»، هذا عنوان أول قصة قصيرة سوف تقرئها عزيزي القارئ في هذا الكتاب الذي ستجد فيه مجموعة قصص قصيرة عن القلق والخوف والأمل، عن التيك توك والتعليم والأخلاق.

كتبتها في فترة المذاكرة قبل الامتحانات – التي كنت أنتظر أن تُستَبدَل بأبحاث مثل كل الناس بسبب الكورونا. هناك ما كتبته ولم أحتفظ به، وبالطبع هناك ما كنت أنوي كتابته ولم أكتبه الواقع، إن ما ستجده، هو ما احتفظت به وجمعته ثم أخرجته من الورد ومن الأوراق واخترت أن أنشره إلكترونيًا، لأن هذه الوسيلة الأسرع والأنجح غير أن دور النشر بعضها له شروط صعبة كشروط كلية الشرطة..

لا تقل أنك رسبت

1

إنها الليلة الأصعب بالنسبة لطالب جامعي، حتى لو كان الدحيح في ليلة الامتحان. كان نائمًا وسط أكوام الكتب تاركًا أوراق على صدره بحيث إذا دخلت عليه أمه في أي وقت، تعتقد أنه كان يذاكر، هزته مرارًا قائلة:

-اصحى يا منيل بقينا المغرب.

في الأيام العادية، لا تُبالي إذا نام للمغرب أو للعشاء، لكنها ليلة الامتحان، عندما أفاق وفرك عينيه، لم تكن الأم في الغرفة. جلس، طقطق ظهره، قام، أزاح الكتب، غسل وجهه ولم يغسل شعره، كإنسان آلي، وعاد لغرفته.

الآن يشعر بصداع وقلق لكونه لا يعرف شيئًا في المادة، فقط يعرف أنه سيرسب. إذا كان لم يذاكر المادة حتى ليلة الامتحان، فسيرسب على أي حال. فتش في أكوام الكتب حتى وجده، غلاف الكتاب نظيفًا كيوم اشتراه، تسارعت نبضات قلبه، عندما تذكر الدكتور. ذلك السمين الحزين البائس، عندما يتحدث مع الأولاد، الضاحك المبتسم اللطيف، عندما يتحدث مع البنات، قال لهم في أول محاضرة:

أنهم كلهم أولاده وألا يقلقوا من الامتحان ثم قال في ثاني محاضرة إنه لا يهتم بمبيعات الكتاب، وأنه سيطبعه لمن يريده ثم قال في آخر نفس المحاضرة إنهم لا بد أن يشتروا الكتاب وإلا سوف يجمعون المقرر من المكتبة والنت. ثم أرسل طالبة حمقاء قصيرة، من المترددات على "المكتبة" تخبرهم "أن مَن لم يشترِ الكتاب، لا يسأل عن درجات أعمال السنة" وفي آخر محاضرة، عندما كان ينتعهم بأبشع الصفات، قال "ابقوا قابلوني في السمر كورس" لأنهم أقبح دفعة قابلها. سيرسب على أي حال، رغم أنه اشترى الكتاب، لكنه سيذاكر لكي يعمل ما عليه، وصداعه مستمر..

لقد قام بدفع مبلغ مقابل الكتاب وأنه لمن الضروري أن يفهم شيئًا قبل الامتحان. أحس بضرورة شرب كوب شاي، فقام مسرعًا للمطبخ.

كانت الأم تغسل الأطباق، تستمع لبرنامج الطبخ على الراديو وما كانت سترفض لو طلب منها كوب شاي، لكنه فضل أن يعده لنفسه؛ ليضيع بعض الوقت، كعادتها صامتة منصته لا تتحدث معه إلا في الضرورة، هي لا تكرهه، ولكنها لا تحب الكلام. يعتقد أنها ما عادت تحبه، رغم أنها تُحضِر له الطعام، وتغسل له الملابس، وتضع له المصروف تحت الوسادة، قالت:

-خلصت مذاكرة.

فأجابها وهو يضع السكر:

- لسه، ادعي لي.

أغلقت المياه واستدارت ترص بعناية الأطباق على رف المطبخ:

-عندك مادة إيه، بادرته.

لا يعرف لماذا تسأل! فهي لا تهتم بدراسته منذ أن دخل كلية التربية، لم تهتم عندما قرر أن يدخل أدبي في المرحلة الثانوية، ولا عندما حول إلى مدرسة الثانوية العسكرية، ولا عندما أعلن نيته دخول "كلية الشرطة" قبل ظهور النتيجة، لكن عندما ظهرت نتيجته، أصرت:

- مش هتنفع في الشرطة.

وهددت بترك البيت إن فعل ما يصر عليه. وأقنعت والده أنها لا تريد أن يموت ابنها شهيدًا. انصاع والده لرغبتها أو ربما كان رأيه في الأساس، وحكم عليه بدخول الكلية التي لم يقتنع بها يومًا "تاريخ" قال لها. وكان الماء قد أعلن عن غليانه من فرط الدخان المتصاعد، فصبه في كوب الشاي، ثم عاد لغرفته وتركها تفكر أي شيء ستجهز للعشاء.

الساعة العاشرة، هدوء في الشقة، وضجيج في عقله، ثلاثة أكواب شاي فارغة على المكتب، والكثير من الأوراق والأقلام، أضاء اللمبة الفينوس كشمس النهار، وصداع الرأس مستمر، يقرأ شيئًا من الكتاب أو ربما لم يقرأ، يفكر هل كان في الزمن الماضي جامعات؟ يحدق في اللمبة، فتتلاشى التفاصيل في عينه، وكل شيء شعاع أبيض، لماذا يدرس في هذه الكلية العقيمة؟ يعود للكتاب، فلا يرغب في لعب هذه اللعبة، كلها حروف متشابكة متراصة بلا معنى، وعندما يفرك عينيه، يتساءل ماذا سيعمل بعد التخرج؟ يعتقد أنه لو دخل كلية الشرطة، كان سيهنأ بمستقبل أفضل، وشقة أكبر، وزوجة أجمل، وأجازات أطول من تلك التي سيحصل عليها، لو عمل في أي مجال آخر. قلبه يخفق خوفًا من الغد كخوف المماليك من أعدائهم، رغم ذلك، لا يريد أن يذاكر، وهو متيقن من وجوب المذاكرة، يعض شفته السفلي، ومن هناك من على السرير، رن الهاتف برسالة "واتساب" ينتفض كمملوكي عرف خبر استشهاد قطز لتوه:

- هاي.

من؟! سمر؟ لم يرد لا شيء يجبره على الرد في ليلة الامتحان، عليه استغلال كل الوقت في المذاكرة، لكن لا مانع من لو تصفح لوقت قصير "الفيس بوك".

في الامتحانات، كل الطلبة شيوخ أو أعلنوا إسلامهم لتوهم، ستجد كل رنات الهواتف آيات قرآنية، وكل حالات الواتساب أدعية، وكل المنشورات أذكار، وسوف يملؤون المساجد حتى يضطر خطيب الجمعة أن يدعو: اللهم وَفِّق الطلبة في امتحاناتهم. يسخر الطلبة في الامتحانات من الامتحانات وكل شيء. هذا الذي كتب فوق صورة: قطة حزينة: "محلتش حاجة يا باشا في مادة النهارده"

ما الذي تريده؟ وما شأننا إذا كنت حليت أو لا! وهذه التي كتبت على صورة أو ناس نائمين: "الخلايا المسؤولة عن التذكر والمذاكرة"

إذا كانت خلايا عقلك نائمة، فلماذا لا تستسلمي لنوم ثُبات لتريحيها؟ وهذا الذي كتب على صورة قلب معلنًا عن بروده: "هو مبقاش بيخاف ليه من الامتحان هو حلوف؟"

لماذا لا يحتفظ بهذه المعلومة المفيدة جدًا لنفسه؟ وجد أن الوقت على النت ليس فيه بركة، وأنه لمن الضروري أن يحدث زميله الدحيح اللاسع، ويقول له بصيغة الأمر:

- فين التلخيص اللي عملته للمادة دي قبل ما أشيل..

- معايا، ابعته لك؟

- ممم طب ما تجيبه وتيجي تذاكر عندي.

- لو عندكم عشا حلو جاي.

3

عندما أتى الدحيح اللاسع، كان قد انتصف الليل، لقد اكتسب لقب الدحيح لكثرة أسئلته للدكاترة، فهو المحب للكلية، الباحث عن المعلومات، الشارب للمناهج، منبوذ قليلًا أيام الدراسة، زميل الكل أيام الامتحانات.

"امتحان وهيعدي" قال وهو يأكل آخر قطع البسبوسة، وقال

- "أني بحمد الله لخصت كل فصل خمس ورقات بدل من السرد والعك بتاع الكتاب" وهو يفرغ الكولا في جوفه، وعندما أكرمه صاحبنا بطبق فاكهة، يفيض بالتفاح والعنب بشره أن "آخر تلت ورقات كتب فيهم جداول لاهم التواريخ والأسماء"

رغم أن الدحيح ذاكر المادة ثلاث مرات، وراجعها مرتين قبل أن يأتي إلى هنا، لكنه عقد النية أن يذاكر، على سبيل المشاركة والتشجيع لصاحبنا الذي تربع على السرير وفرش الأوراق أمامه، وشرع في البدء، قبل أن يسأله "الدحيح" أخبار سمر إيه؟ فرد دون أن ينظر:

-اتخطبت.

يعرف صاحبنا أنها الوحيدة ضمن بنات الدفعة والكلية والجامعة التي يُعجَب بها "الدحيح" وأنه يمشي وراءها من سنة أولى، وأرسل لها الكثير من الكلام الرومانسي والشعر الغزلي على موقع "صراحة"، فكانت لا تبالي به، وعندما قرر أن يتجرأ ويأخذ موقفًا

إيجابيًّا - حسبما قال له صاحبنا ناصحًا - ذهب إليها أمام حمام البنات في الطابق الثاني، وصَرَّح لها عن حبه وأنه يريد أن يخطبها، ولسوف يتزوجها بعد التخرج، فردت عليه أنها لا تفكر في الزواج، وعندما أكمل في رسائله الصراحية، ردت "بحظر".

من وقتها، امتنع عن المشي وراءها والتحديق فيها، لكنه ظل يفكر فيها قليلًا ويسأل صاحبنا عنها كثيرًا، منذ أن عرف في جلسة "بلايستيشن" قبل امتحانات "الميد ترم"، أن "سمر" تكلمه كأخيها في حدود الأدب والاحترام، إن احتاجت شيئًا خاصًا بالكلية، ولم تجده مع البنات..

****

في الواحدة والنصف صباحًا، قرأ صاحبنا شيئًا عن الجواري في دولة المماليك، ثم نظر صوب الشاحن الذي تركه منذ زمن متصل بالكهرباء، وذهب بعقله بعيدًا، إلى شيء، قبل أن يعيده "الدحيح" بسؤاله الذي هو محل سؤال:

_إيه رأيك نعمل اتفاق.

قال صاحبنا وهو يُعقِد حاجبيه:

- اتفاق إيه؟!

بادره "الدحيح" وقد غاص أكثر في الكرسي وحك معصم يده اليمنى:
- أنا ممكن أديك تلخيص الكتاب في ورقتين يعني كل فصل متعنصر في عمود وكمان الأسئلة اللي هتيجي.

ترك صاحبنا الورقة، فأكمل "الدحيح"

- الدكتور كان بيقول على أسئلة مهمة والامتحانات بتاعة السنين اللي فاتت فيها أسئلة مكررة، اللي مكرر وملاه لينا هو اللي هيجي يعني بدل ما تذاكر تلخيص المنهج هاتذاكر أربع أسئلة بس هايجيلك منها على الأقل اتنين في الامتحان.

قال صاحبنا الذي بدا مطمئنًا لكلام الدحيح:

- وإيه الاتفاق؟

نظر "الدحيح" لهاتف صاحبنا وهو يقول بابتسامة جاهد أن يخفيها:
- هاتديني أكلم سمر من الواتس بتاعك على إني أنت.

قال صاحبنا بصوت عال لا يسمعه إلا هو، كيف نبتت في عقله في ليلة امتحان هذه الفكرة؟! وما الممتع أن يحدثها وهي التي صدته بكل الطرق! ولكن إذا كان هذا سوف يجعله يكف عن أسئلته المجنونة عنها، لم يتجاوز حدوده؛ لأنه أنا وأنا أكلمها كأخيها في حدود الأدب والاحترام، وهي لم تعرف قط هذا الاتفاق، ولسوف أحصل على أسئلة الامتحان وسألتهمها على عجل، خصوصًا وأنني مهما ذاكرت، مستحيل أن أنهي المادة، كنت سأترك نصفها، ولأني محظوظ، سوف أجد الامتحان من النصف الذي تركته، وسأرسب على أي حال..

****

كانت الرابعة فجرًا، عندما ردت "سمر" على رسالة:

-عامله إيه.

-تمام وأنت؟

اعتدل "الدحيح" من نومه، وأحكم قبضته على الهاتف، وقال لصاحبه مبتسمًا:

- ردت أهي.

فلم يجبه، واكتفى بهز رأسه، وهو يقاوم ثقل عينيه؛ ليكمل قراءته. فكتب لها:

-يعني، بذاكر بس قلقان، شوية أنتِ خلصتِ؟

-يعني حاسة إني مش هاجاوب حاجة وبفكر أنام.

-أنا هاكون سعيد لو خليتك ماتناميش، يعني علشان تخلصي مذاكرة.

-أنت عاوزني مانمش علشان أخلص مذاكرة؟

-أيوه، كمان أنا كنت بفكر فيكي وإننا أصحاب فلو ممكن تساعديني لأني قلقان.

-أساعدك إزاي؟!

-إنك تذاكريلي أو تشجعيني بحاجة حلوة أنا بحبها تخليني آكل الكتاب.

-هههههه اسمع أنا متخانقة من شوية مع خطيبي لأني اكتشفت إنه بخيل وبفكر أنام علشان أركز بكرة فلو عاوز حاجة قولها على طول.

-ماشي قليلي أنتِ لابسة إيه دلوقت؟

-هوا كل الصحاب بيساعدوا بعض كدة؟

- طبعًا بس بيكون سر بينهم ومش بيقولوا لحد

- ولا حتى لخطيبي؟

-لأ، قولي لابسة إيه؟

4

السابعة والنصف صباحًا، الوقت المثالي للنزول، لكي تظفر بمقعد في "ميكروباص" لأن الدنيا زحمة امتحانات، بعض السائقين المحترمين يفضلون أن يحملوا بنات "فقط"؛ لأن البنات "فقط" لا تتحمل الشمس، ولا يكمن أن يتأخرن على الامتحانات، كان الطلاب يقفون على جانبي الطريق، في انتظار السيارات، ومن ضمنهم الصديقين، عندما أتت فتاة صغيرة متسخة الملابس منكوشة الشعر، لم تختر إلا هم، وقالت وهي تبسط يدها:

- حاجة لله يا بيه يا رب تنجح.

فبادر الدحيح لصاحبه باسمًا:

- اديها علشان معيش فكة بنية التوفيق في الامتحان.

أخرج صاحبنا خمسة جنيهات ودسها في يد الفتاة التي تاهت وسط الطلاب تمارس عملها ببراعة.

وعندما أتت سيارة "ميكروباص" بيضاء ووقفت أمامهم، أسرع الاثنان مع المسرعين وكان أسرعهم "الدحيح" الذي فتح الباب الأمامي وانتظر صاحبه، فركب وارتاح "الدحيح" بجواره؛ لأنه يحب الجلوس بجوار الشباك، عندما جاء طفل صغير متسخ الوجه منكوش الشعر، وبسط يده وهو يقول:

- يا رب تنجح في الامتحان يا باشا.

لم يتحرك "الدحيح" فناوله صاحبنا خمس جنيهات وراح الطفل إلى الجالسين في "الميكروباص" يدعو لهم من النوافذ ويساومهم بالنجاح.

-لموا الأجرة مع بعض ومحدش يذاكر بصوت واللي مابيحبش المهرجانات وهايقول اطفي الأغاني ينزل.

نظر إليها صاحبنا، كانت السائقة فتاة جميلة في الثلاثينات، لم تضع أي "ميك أب" إلا الكحل الذي زَيَّن عينها، فجعلها أفتن من "شجر الدر"، وعندما ناولها عشرة جنيهات، أعجبته أصابع يدها المكتنزة، وفكر أنه لو كان السلطان "بَيبرس" لجعلها جاريته المفضلة، عندما انطلقت، اطمئن أنها محترفة في القيادة، ولم يلاحظ "الدحيح" أو يطمئن؛ لأنه كان في مكان آخر، حيث محادثة "سمر"، كان يقرأ "صور" المحادثة، بعد أن أرسلها من هاتف صديقه ثم مسح الصور والمحادثة، مقربًا هاتفه من وجهه، بحيث لا يشاهد صاحبه الشاشة، إذا نظر، ولم يكن سينظر؛ لأنه ارتاح لاستراق النظر لتلك الجارية الفاتنة القابعة بجواره.

اقتربت سيارة "ميكروباص" وسأل الذي يجلس بجوار السائق عن فكة "مائة جنيه" فأشارت السائقة نافية

" أنتِ يا بت كفاية خداع ماكفاية عليكِ عمري ضاع، عيشتيني في الأوجاع وأنتِ عاملا إنك مش عارفه"

كان صوت المغني عبر "الكاسيت" قبل أن تسأل السائقة:

- هو فيه رادار على الطريق هنا؟

عندها، وجد صاحبنا سببًا للنظر لوجهها المشرق كشمس النهار، ورد:

- لسه بدري عليه هاقول لك قبله.

كل السائقين والطلبة يعرفون أين "الرادار". إلا السائقين الجدد ومدمني المخدرات، ولأنها لا تبدو كشاربي المخدرات، سألها:

- أنتِ جديدة على الطريق ده؟

- أيوه، إحنا كنا في الموقف وجه أمين شرطة أخد الرخص علشان بنحمل الطلبة.

عندما اقتربوا من لجنة "شرطة" أخفضت سرعة السيارة، نظر عسكري إليها وأشار ناحية "حزام الأمان" ثم انصرف.

- بس أنتِ بتسوقي من زمان باين عليكي.

سألها، فضيقت عينيها تسأل كثيرًا وتجاوب قليلًا، لكنها الآن، أرادت أن تحكي لا تجاوب لتزيح ذلك الثقل القابع فوق صدرها، حكت:

-من خمس سنين على الطريق بعد ما اتطلقت ولقيت إن السواقين بيسرقوني وبيهلكوا العربية سقتها أنا، أصل العربية دي غالية عليا ورثي من أبويا الله يرحمه، دلوقت قاعدة بصرف على ولادي الاتنين وأمي ربنا يشفيها، أنا اتجوزت بعد ما خلصت الدبلوم على طول وبعدها بست شهور أبويا مات جيت أنا وجوزي المعفن عشنا مع أمي، ولما قعد يزن عليا أبيع العربية وأديلو الفلوس يفتح بيها محل هدوم رضتش، وطلبت الطلاق من يوم مجوزته مشفتش يوم حلو

معاه كان مدمن تامول وحشيش منه لله، حكت كما لم تحكِ من قبل، وكانت ستحكي وتحكي، لولا أن وصلا أمام الجامعة، لكن لا أحد يصل لأي مكان، سوف تعود لتقود وتعود تُحمل "الميكروباص" وتعود لتحكي...

5

التاسعة ودقيقتان، في لجنة الامتحان، الكل يجلس في مكانه مستعد لخوض "الامتحان"، والمراقبة السمينة تُوَزِّع ورق الإجابة، وعند الباب، استند المراقب الأصلع الشعر، ينتظر ورق الأسئلة، وظهرت "سمر" متأنقة بكوتشي أبيض ماركة فيلا، جلست في المكان الوحيد الفارغ بجوار صاحبنا، ابتسمت له وهو ابتسم لها، لاحظ أنها اليوم مختلفة، وأعجبته خصلات الشعر المنفلتة من الحجاب، عندما ناولها كشف الحضور، أدرك اجتهادها في وضع "الميك أب"، أراح رأسه على ورقة الإجابة، ونظر لذلك الجزء الظاهر – بين البنطلون والكوتشى – من قدم "سمر"، التي بدأت عملها ببراعة، راحت ترص الأقلام مختلفة الألوان وتسطر ورقة الإجابة بإتقان مهندسة تخطيط، -هيا ورقة الأسئلة هاتيجي امتى.

سألت سمر بصوت فنانة رومانسية، فرد المراقب الأصلع:

- دلوقت حالًا.

"سأرسب في الامتحان" فكر صاحبنا وهو يعد النقط البيضاء على تي شيرت سمر، لكنه ما عاد قلقًا كما كان قبل ساعات، لو رسب في الامتحان، سوف يحظى بمقابلة الدكتور في "السمر كورس" ولسوف

يذكره أنه اشترى الكتاب وحضر كل المحاضرات، وسينال عطفه ورضاه، بعد دقائق، أخذته أفكاره لأشياء بعيدًا، وسأل نفسه ما الذي سيناله بعد الامتحان، وما الذي سيناله بعد التخرج، تشوش فكرة من فداحة الموقف "إنهم يحكمون علينا بالرسوب في التاريخ؛ لأننا لم نجب الأسئلة كما توقعوها" ثم ابتسم، عندما فكر أن الراسبين في التاريخ كثر، فالذين يعيدون أخطاء الماضي راسبون في التاريخ، وأنه لم يكن أولهم أو آخرهم،

-هي ورقة الأسئلة هاتيجي امتي؟

- دلوقت حالًا.

أراح عينيه واطمئن "مولاي بَيبرس"

نادته جاريته المفضلة من بعيد حيث اللاشيء.

مريومة

«لخبطيطا أحلى زيطة»

في موقع التيك توك الرائع، صادفني فيديو لها، فأخرجني من أفكاري السارحة في الفيديوهات.

كان اسمها ملفتًا وجميلًا.

«مريومة».. هكذا اختارت أن تُسمي نفسها.. تمامًا كما اختارت أن تنشر الفيديو وتحرك فيه شفتيها على صوت فتاة صغيرة يقول لها صوت شاب ليس صغيرًا: «قولي يا لهوي كده.. يا لهوي.. لا مش كده فين الدلع.. يا لهووووي». لم ترحم الردود السخيفة لطفها الذي بدا واضحًا، برغم كلماتها القليلة ومكياجها القليل.. سريعًا انهالت عليها تعليقات البذاءة:

«مريومة أنتِ كام سنة.. مريومة ممكن أدوق الروج بتاعك .. مريومة تتجوزيني بس تتدلعي طول اليوم.. مريومة إيه ميّتك».

استفزتني سخافة التعليقات التي كتبوها التي تعاملت مع مريومة على أنها بائعة هوى؛ لأن لها اسمًا شقيًّا، أو إن شئت الحقيقة لمجرد أنها قررت أن تنشر فيديو على التيك توك.. رغم أنه موقع عالمي ينشرون فيه الملايين وليس موقعًا مغلقًا مشبوهًا.. لكن ماذا تقول لشباب جائعين تتحرك غرائزهم بمجرد مشاهدة فتاة تبتسم شفتاها فما بالك وهي تتحرك فعلًا على صوت طفلة وتقول يا لهوي.

لحظة بعد أخرى، توالى مرور التعليقات التي تنهش «مريومة».. انتظرت ردها، ليس لأعرف ميتها أو نظامها، كما قال مرسلو الرسائل، بل لأعرف كيف ستستقبل كل هذه الكمية من الحقارة التي تفجرت لمجرد أن بنتًا نشرت فيديو تبتسم فيه بلطف، فأصبحت رغمًا عنها صيدًا مشروعًا للشباب المستثارة المتحفزة على أزرار الموبايلات. كل هؤلاء كيف سترد مريومة عليهم؟ هل ستلقنهم درسًا لن ينسوه؟ هل ستنهار أمام حقارتهم؟ هل ستُذكرهم بالحلال والحرام كما تفعل عادةً البنات المصدومات مما يتلقين من حقارة؟

لفترة من الزمن، لم ترد مريومة.. لعلها صُدمت بهذه الردود السخيفة، فقررت أن تترك التيك توك وتبحث عن مكان آخر تتعرف فيه على أناس لا يرغبون في أكلها أو تذوقها.. لكن الردود السخيفة لم تتوقف:

«إيه يا مريومة فينك».

«أكيد راحت تتدلع في حتة تانية».

«شكلها ملهاش في الدلع».

«لازم راحت تزود الروج».

كان صعبًا عليَّ أن أحتمل الأمر أكثر من هذا.. كنت قد توقفت منذ فترة عن كتابة تعليقات مكتفيًا بقراءة تعليقات مستفزة أوقات الفراغ التي لا تنتهي.. قررت أن أتضامن معها.. لست أدري لماذا.. لكنني تضامنت.. وأنا اللي أستاهل!

دون أن أفكر، كتبت لها تعليقًا يحمل تعاطفي الإنساني الدائم مع كل فتاة تريد أن يعاملها الآخرون بشكل لطيف.. لا تسلني لماذا فعلت ذلك! ربما لأنني وقتها كنت في لحظة ضعف وأنا لا أفكر في لحظات ضعفي.. ربما هي الشهامة التي طالما جلبت لي المشاكل.. ربما... المهم أنني تضامنت معها وانتهى الأمر.

بعد لحظات من كتابة تعليقي:

«الفرعون: مريومة مالكيش دعوة بكلامهم السخيف.. دول ناس فقدت الإحساس».

ألم أقل لكم "أنا اللي أستاهل" كل ذلك لأنني لم أستمع إلى حكمة الأجداد التي نهتنا بأننا لن نسْلَمَ من الأذى، عندما نسير وراء العيال..

«يا فرعون سلملي على إحساسك».

«بطل نحنحة يا فرعون أحسن أقول لأبوك رمسيس».

«يا فرعون مش ناقصينك روح كل جاتوه.».

أفاقتني التعليقات من سيطرة مشاعر التعاطف التي لا أعرف كيف أصبت بها وأنا الخبير بأحوال الناس.. لمت نفسي لأنني جعلت من نفسي موضع تحفيل لكائنات تافهة كهذه.. كان ينبغي أن أتوقع أن تخرج تلك المريومة اللطيفة من التعليقات فورًا، بعد كم المضايقات التي تعرضت لها بل من الممكن أن تغلق التعليقات على الفيديو، أو تحذفه من صفحتها.

جلست وفي يدي الموبايل، أقرأ التعليقات وحرقة الدم تدفعني للرد على هؤلاء السفلة.. انتظرت قليلًا لأقرأ تعليقًا حقيرًا استفزني: «هو الفرعون ده اسم أبوك ولا أمك».. اندلعت حريقة في دمي عندما أتى بسيرة أمي هذا الوغد.. وسوس لي الشيطان بأن أثأر لأمي فأرد عليه بشتيمة تخص مناطق في جسد أمه.. لكنني لم أفعل حتى لا أكون مثله.. ربما تضعه مريومة في قائمة الحظر.. وهو ما سيجعل تعليقاته لم تظهر قط.. ظهر تعليق يقول فيه: «أحمد: مريومة أنتِ زي القمر.. باحبك موت ممكن أ...»

وظلت التعليقات تتوالى: «أنا بطلب نفس الطلب اللي طلبه أحمد.. لو ما كانش يضايق الفرعون».. «يا أحمد لما تقابل مريومة تعالوا عندي في البيت في المعادي».. «يا أحمد اسأل مريومة مش محتاجة مدرب سباحة».

ازداد غيظي، فقررت ألا أكتب تعليقًا آخر حتى لا تدور الدائرة علي.. ليس بيدي سوى أن أتجاهل تلك التعليقات المستفزة.. لعنهم الله هؤلاء السفلة.. انحطاطهم كاد يُخرج ما أكتمه بداخلي من انحطاط.. ليس

أمامي سوى أن أخرج من التعليقات فعلًا وفورًا.. قبل أن أضغط على زر الخروج جديًا هذه المرة التقطني تعليقها كسنارة انتشلني من الغرق في بحر أحزاني.. أو هكذا ظننت، عندما وجدت اسمها يظهر على شاشة الموبايل:

«مريومة: إزيك يا فرعون...»

لم أكد أكمل قراءة باقي التعليق حتى اكتشفت أن مريومة انتشلتني من بحر أحزاني لتُلقي بي في أحزانها.

«مريومة: إزيك يا ابن فرعون.. أنا وحيدة**!**».

دون أن أفكر كثيرًا، كتبت أصابعي الرد وأرسلته سريعًا:

«فرعون: آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه.. ومين سمعك يا مريومة**!**».

وسريعًا علقوا وحفلوا وشوّشوا وسخّفوا:

«يااه.. الحقوا الفرعون بيتقطّع يا رجالة».

«إيه يا فرعون.. كليوبترا مقصرا معاك».

«مريومة: هو مافيش فايدة في الرخامة دي؟».

«أكيد يا مريومة ردي على الرسايل ومش هرخم عليكي».

«الفرعون: أنا آسف.. كان نفسي نتكلم في جو نضيف.. أنتِ عندك كام سنة؟».

«قصدك تسأل عن رقم الواتس بتاعها».

«إيه يا فرعون أنت وقعت ولا إيه».

«بعتلك رقمي وعنواني خاص يا مريومة».

«مريومة: متخيل قد إيه العالم اللي إحنا عايشين فيه بشع ووقح ؟!».

«الفرعون: هو حد يرضى فيكو يتقال لأخته الكلام ده؟!».

«أنا أختي معندهاش تيك توك».

«والله.. أختك عندها باسم فِيك ومخبية عليك».

«مريومة: ما ممكن تكون أختك أنت».

«فيك مين يا عويل».

«وبعدين في اللخبطة دي.. هيا أختي.. ولا أختك أنت !!».

«الفرعون: صعب تطلبي من الحيوان إنه يبقى بني آدم».

«تصدق إنك عيل مهزأ يا فرعون وأنا شكلي كده ها... أنت وأبوك».
«حيوان مين يا... ياللي...».

«مريومة: أنا مضطرة أمشي عشان بجد تعبت!».

«تعبتي ليه؟.. دا أنتِ مش شديدة بقا».

«يلَّا في ستين داهية.. وسلمي على أمك».

«الفرعون: استني ما تمشيش.. أنا بجد نفسي أتعرف عليكي».

«مريومة: أنا لازم أمشي.. يا خسارة على الأخلاق!».

«الفرعون اتحلقله يا رجالة».

«ياض ابعتلها على الرسايل يا مغفل».

«يا مريومة الأخلاق بتسلم عليكي».

«مش عيب تبقى اسمها مريومة مش محصلة مريم ولا مرمر.. وأنت اللي تتدلق كده».

«الفرعون: مريومة.. أنتِ مشيتي بجد؟!».

«المريوم خلص.. أجيب لك من التلاجة».

«يا فرعون.. اتقل كده مالك يلا فيه إيه».

كنت مجبرًا على أن أتحمل أمواجًا من الانحطاط، كانت تداهمني.. تحملتها صابرا لعلها تعود.

لعلها تتحمل قليلًا وتتحدث معي.. لعلها تدلني ولو بالإشارة لكي أرسل لها في الرسائل.. أو ترسل لي هي.. أو تعطيني رقم الواتس.. لم أعد أرى أي كلام في التعليقات، فقد عميت عيناي عن أن ترى شيئًا سوى اسمها.. مريومة.. مريومة.. مريومة.. كلما طال انتظاري لها، كان حنيني إليها يزداد.. كان حنينًا خارقًا، ربما أنا وحدي الذي أفهمه؛ لأني أنا وحدي الذي أشعر به..

ماذا فعلوا بكِ يا مريومة؟.. أين أنتِ الآن؟!

كانت مريومة وحيدة.. وأنا كنت ولا أزال وحيدًا.. كان يمكن لنا أن نلتقي؛ لأضع وحدتي على وحدتها.. كان يمكن لوحدتنا أن تنتهي.. كان يمكن لنا أن نكون معًا شيئًا لطيفًا.. كان يمكن لنا أن نجد عزاءنا لدى بعضنا.. كان يمكن أن أرتبط بها.. لكنها لم تعد ثانية إلى التعليقات.. هربت ببراءتها من المستنقع الذي دخلت إليه عن غير قصد.. لعلها دخلت هنا هربًا من التطبيقات الأخرى

التي يكون السؤال الأول فيها: «أنتِ بنت صح؟».. والسؤال الثاني: «افتحي الكاميرا؟».. لعلها أرادت أن تتحدث عن نفسها لأحد لا يقول لها: «عشان أتأكد إنك بنت ابعتيلي ريكورد؟».. لعلها أرادت أن تحكي عن وحدتها لشخص لا يطلب منها صورتها بالكاش مايوه.. لعلها أرادت فقط أن يقول لها أحد: «لذيذ اسم مريومة ده».. لعلها أرادت فقط أن تأوي إلى أي جبل أو هضبة تعصمها من الماء.. تمامًا كما أردت أنا أن آوي إليها هاربًا من كآبتي ووحدتي..

لكنهم لم يُخلُّوا بيني وبينكِ يا مريومة، ولم أتجرأ وأرسل لكِ رسالة

آآآآه.. فرق بيننا موج التعليقات يا مريومة.. فدعيني أغلق التيك توك قبل أن أكون من المغرقين.

صفعات أخي الحبيب.

مرحبًا يا ماهي، أردتُ أن أحكي لكِ عن مشكلتي، لعلكِ تساعديني، إن أخي يعاملني كولد، دائمًا يضربني، هذا ليس جديدًا، فمنذ وقت طويل، كل يوم يضربني؛ ضربني، عندما كنت أسمع أغنية مهرجان؛ لأنها تعطلني عن المذاكرة، وعندما دخل بحِذاء متسخ الشقة، فاتسخت الأرض، ضربني لأنني لم أحسن المسح والتنظيف، ولم يستطع ضربي عندما وجد الأطباق متراكمة في حوض المطبخ؛ لأنني هربت من فوري، وأغلقت باب غرفتي بإحكام، انزويت على سريري، صرت أخافه وأتحاشاه، وعندما أسمع صوته ينقبض قلبي وترتعش يَدي.

أتعرفين يا ماهي! عندما أهداني عمي "مدحت" موبايل آيفون في عيد ميلادي السابع عشر، قبل شهر، أراد أخي أن يأخذه، فقلت له: إن الهدايا لا تُهدى ولا تُباع، فقال: سنتبادل لأن الأندرويد أنسب لطلاب الثانوية عكس طلاب كلية التربية الرياضية الذين يحتاجون

الأيفون؛ ليُسجلوا عليه محاضراتهم، كأنه حقًا يسجل المحاضرات! فهربتُ منه، وقلت وأنا أغلق باب غرفتي بإحكام، إنني سأفكر في الأمر، رغم أن أمي اقتنعت بكلامه، أعرف أن أمي تحب "ميدو" أكثر مني، رغم أني الأصغر سنًا، وتميزه في الغداء دائمًا، فتعطيه قطعة اللحم الأكبر، رغم أني الأنحف جسمًا، وكثيرًا ما تدعو له بالنجاح، وتتمنى أن يرزقها الله بعمر مديد حتى تفرح بيوم فرحه وتربي له أولاده، هي تعرف جيدًا أنه سندها، كما تعرف جيدًا أنني لم أسأل عليها بعد زواجي، هي تتأثر بالمسلسلات التركية..

وفي ظهيرة اليوم يا ماهي! كنتُ أُتابع مع أمي الحلقة المائة وسبعين من المسلسل التركي المفضل لها، عندما هاج قلبي واهتاج بمشهد، احتضنت فيه الأم ابنها وبالغت في الحضن، فسألت أمي:

- هو أنتِ بتكرهيني؟

فنظرت مستفهمة ومررت يدها على شعري وقالت:

-لا طبعًا أنا بحبك زي ميدو بالضبط.

فتجرأت أن أدخل معها في النقاش التالي:

- أمال ليه مش بتقوليله حاجة لما بيضربني؟

- انصر ابنك ظالم أو مظلوم.

- لا هي أصلها انصر أخاك مش ابنك.

- أنا ما ليش أخوات كنت بعتبر أبوكي الله يرحمه أخويا ولما مات بقيت بعتبر ميدو أخويا.

- طيب ما أنا برده بنتك ولا أنتِ جايباني من الشارع؟!

- لا طبعًا، بصي أخوكي بيحبك وبيخاف عليكي بس أسلوبه كده!

دخل ميدو وعلى وجهه علامات الغضب، وأخبرنا أن موبايله سقط من جيبه وكُسرت الإسكرينة، ويحتاج موبايلي حتى يصلحه. لم أُصدقه ورفضت ذلك، وتَدخلت أمي لتقنعني، فلم أقتنع، فما كان منه إلا أن أمسك شعري وشده بعنف، فدفعته عني، وعندما لَكمني في بطني، فوقعت أرضًا، صحتُ بجملة كنت قد سمعتها في مهرجان زاد غضبه وكان سيرقد فوقي ويُبرحني ضربًا، لكن أمي أمسكت به جيدًا، وأخذت تردد جمل الأمهات في المشكلات، بصوت سمعه سكان العمارة، أنها سوف ترحل وتترك البيت؛ لأن ليس لديها أولاد. كانت هذه اللحظات كافية لكي أهرب كما تعودت، وأُغلق باب غرفتي بإحكام، انزويتُ على سريري، وأخذ "ميدو" يُطرق الباب بعنف مجنون، ويقول: إنه سوف يربيني من جديد، بصوت مهزوم، وعندما وضعتُ سماعة الموبايل، جاءتني فكرة أن أخرج له؛ لأرى كيف سيربيني...

***

مرحبًا يا ماهي، كيف حالكِ، هل تعلمين أنكِ أفضل مستشارة نفسية، تُجيد حل المشكلات على اختلاف أنواعها، نعم، المتابع لكِ يعرف ذلك، أرسلتُ لكِ مشكلتي قبل أيام، والآن، أريد أخبرك أنها انتهت، حتى لا تُشغلكِ، فَتنشغلي عن غيرها. عندما جاءتني فكرة أن أخرج لأخي، فأري كيف سيربيني، ركلتها فكرة أن أتصل بعمي "مدحت"، وبعد ثلاث ساعات، ضيعتها في كتابة رسالتي الأولى لكِ، والاستماع لبعض الأغنيات، طرق باب الغرفة عمي "مدحت" وطلب مني أن أبدل ملابسي؛ لأنه سوف يصحبني في مشوار؛ لكي يعلمني الأدب. في مطعم "البيتزا" بأول شارعنا جلسنا، على آخر طاولة

في الركن الهادئ، وأكلنا. في الحقيقة أكلت أنا فقط وكان عمي يتحدث. قال وأنا أضع "الكاتشب"، إنه اتفق مع أخي ألا يعاملني كما يعامل أصدقاءه في الشارع، بل بلطف يَليق بفتاة، وسوف يهديه موبايل ايفون، وقال وأنا أشرب "الكولا"، إنه طلب من أمي ألا تعطلني عن دُروسي بأعمال المطبخ، وأن تحتوي مشاعري حتى لا تتأثر حالتي النفسية، فَأرسب في الثانوية.

الموت ليس كورونا

1

الحياة ماضية بكل ما فيها كأن شيئًا لم يكن. كل إنسان يخاف الكورونا. لا يمكن أن أكون الوحيد المنزعج. لو عرف أحد ما في قلبي، لاستغرب كيف لم أصب بسكتة قلبية حتى الآن. بالنسبة لي، انتهت نصف التجربة. لم يبقَ إلا أسبوع وستنتصر مناعتي على الفيروس تمامًا، كما يقول الطبيب السمين الذي يعالجني إلكترونيًا عبر تطبيق يسمونه فايبر. ما أشد خوفي وانزعاجي! أحتاج قدرة خارقة كسوبر مان للسيطرة على نفسي، وإلا هُزمت مناعتي. ألتزم بأوامر الطبيب كلها، وأتناول الأدوية في مواعيدها أو بعد مواعيدها؛ لأن مخي ليس دفترًا. وأنبوبة الأكسجين غالية السعر في ركن الغرفة؛ تحاشيًا لحدوث أزمة تنفس. يا لها من أيام ثقال. أشاهد التلفزيون، أسمع أعداد الإصابات والوفيات، أقارن الأعداد وأجدها في زيادة مستمرة، فأحزن ثم أسمع مؤتمر وزير الصحة وأجده يراهن على وعي الشعب فأطمئن، لأسباب كثيرة المستشفيات ممتلئة، وحضانات الأطفال تحولت لغرف عزل، والأطباء يصابون. يا لها من أزمة! يا له من فيرس جبان! هذه الكحة الجافة والحشرجة المتصاعدة من صدري وآلام مفاصلي وغياب حاستي الشم والتذوق،

كلها أعراض الكورونا، كأن لا يوجد فيروس آخر يحتاج لأعراض. متى سينتهي كل هذا؟!

أتذكر زوجتي التي ماتت قبل عام وتركتني وحيدًا. ثم أرى وجهها الشاحب ينظر إليَّ من خلف زجاج النافذة. تتجاوز النافذة، فتظهر ملامحها وجسدها على نحو أفضل وتقول:

- أتخاف كل هذا الخوف من الموت؟ أكنت تظن أنك ستعيش ألف عام؟

اعتدلت في جلستي ونظرت إليها وهي تقف بجوار الطاولة، لم أخف أو أنتفض، كنت أعرف أنها ليست حقيقية، ربما هي عفريتة من الجن أو من صنع أفكاري أو أنه حلم، تساءلت:

- لِمَ لم تأتِ بملابس بيضاء تليق بمرحومة؟!
- لم تهتم بالملابس قط، أظن أنك مصاب بنزلة برد
- نعم.
- لا تهمل نفسك.
- حسنًا.
- ما رأيك في أن أصحبك الآن إلى طبيب؟
- لا ضرورة لذلك

لعلها أول شخص يزورني منذ مرضي. كلا، الدكتور يزورني عبر تطبيق الفايبر يوميًا وسأرسل له ثمن الزيارة أو الاستشارة – كما يسميها – على حسابه البنكي بعد أسبوع. أتسأل هل ستستمر هذه الطريقة في الكشف بعد أن تنتهي الكورونا؟ هل ستنتهي الكورونا؟ لا أهمية لأسئلتي، طالما ليس لها إجابة. لِمَ لا أهرب من كل ذلك؟! الانتظار حتى النهاية أمر شاق. وزوجتي التي أتت الآن لتطمئن على صحتي، ألا يمكن أن تكون ملك الموت؟ أتى ليقبض روحي ثم منحني وقتًا إضافيًا! ربما يريد إن ذهبت للموت بنفسي، أنهي الحياة باختياري. أن أطلب منه راجيًا انتزاع روحي. في الحقيقة، لم أجد

الشجاعة لأقول ذلك، ولم أجد الشجاعة للنظر في عينيها. ويعز عليَّ أن أتركها تذهب بمفردها. أتصورها حزينة لطمعي في فترة إضافية في الحياة. سيترك هذا الموقف الأناني أثره فيها، وبالطبع، لم تعد لزيارتي مرة أخرى. أنظر للأرض، أنقل عيني من رسمة لرسمة من رسُومات السجادة المتداخلة الفاقدة لألوانها، وأتململ في جلستي، أشعر بأني أقبل أي شيء إلا أن أموت الآن. أقول لها:

- اجلسي
- أنت تعرف ما أريد
- ألا يمكن أن يحدث ذلك بشكل مختلف؟

2

الحياة ماضية بكل ما فيها كأن شيئًا لم يكن. على رقعة صغيرة من الأرض في بلد آسيوية كبيرة، بين مجموعة من البشر نشأ فيروس كورونا ثم انتشر في كل مكان، هناك فيروسات وأوبئة أكثر فتكًا وأسرع انتشارًا عرفها العالم من قبل أودت بحياة الملايين، على مدار السنين. وسوف يحدث هذا في المستقبل مرات عديدة، لكن عدد الضحايا وسرعة الانتشار سيتوقفان على الإنسان الذي لا يبدو أنه يتعلم أبدًا مما يحدث ولو أنه يفعل ذلك، لكان تعلم من الطاعون أو الأنفلونزا الإسبانية.

هذا شيء يشبه ما كنت أسمعه عادةً في القَصَص الخيالية وقبلها في الكتب المصورة: بطل طيب يواجه شريرًا، بالطبع فرص النجاح قليلة، فرص النجاة مستحيلة. الإنسان العاجز عن مواجهة نكد وغضب زوجته ثم العاجز أيضًا عن مواجهة ذكريات وآلام وحدته.

المنطقي يقول إنه سيعجز عن مواجهة فيروس ينتقل في الجو على مسافة سبعة أمتار ويظل معلقًا في الهواء وعلى الجدران يوم كامل. إنه فيروس أسطوري لا يعرف التردد أبدًا، ولا يغمض له جفن كل يوم قبل أن يقتل ما يستطيع، سأفرد له فصلًا في مذكراتي وسأذكر بالأعداد ما فتك به من بني الإنسان، وبالطبع، سأقول كيف تعاملوا معه! وإن كان هذا الجزء الأخير سيكون تكرارًا لما هو موجود تحت عنوان كيف تعامل الناس مع الطاعون والإنفلونزا الإسبانية؟ لأن الإنسان لا يتعلم من أخطائه ولا يقرأ تاريخه، ولا أحد منهم سيقرأ مذكرات الموت، لكني سأكتب على أي حال.

أحد الأمور التي تنتشر بين الناس هو حبهم لنظرية المؤامرة، هناك شوق وحب لتفسير أي شيء مجهول على أنه مؤامرة، إنها سذاجة لا تختلف عن الاعتقاد بالخرافات والأوهام القديمة، قالو إن الدولة الآسيوية تريد الانتقام من الدول المنافسة لها في الاقتصاد، ثم قالوا أنها تريد أن تقتل نصف سكان العالم وتكون إمبراطورية تحكم النصف الآخر، ولا أحدًا استمع للأطباء والعلماء.

ما يثير دهشتي هو كيف تعامل الناس مع الفيروس. في البداية استهانوا به وقللوا من شأنه واعتقدوا أنهم يمكنهم التغلب عليه بالأعشاب الطبيعية التي هي ليست أعشابًا ولا طبيعية، ويمكنهم وأده بالتعاويذ والأحجبة، وعندما ازداد عدد الإصابات، غيروا طريقة تعاملهم، ففرضوا الحظر وأوقفوا الطيران وأغلقوا المحلات والمتاجر وبقى كل منهم في منزله يسلي نفسه بطريقته، ولما قل مخزونهم من الطعام وخسر مصالحهم واقتربت أموالهم من النفاد، عرفوا أنهم سيموتون من الجوع، إذا لم يمتوا من الكورونا، فغيروا طريقة تعاملهم، فألغوا الحظر وأعادوا فتح المحلات والمتاجر وراهنوا على وعي الناس التي تعرف مصلحتها وستلتزم بتعليمات الوقاية.

- اغسل يدك بالصابون واستخدم المواد الكحولية.

- ارتدِ الكمامة.
- ابتعد عن التجمعات.
- لا تلمس عينيك.
- لا تنزل للشارع إلا للضرورة.

أنا الموت أنا لست نورًا أو ظلمة، أنا أي شيء غير الحياة، أحيانًا، أسهر أراقب حياة الناس أراقب أعدادهم المتزايدة، التي تقل بنسبة كبيرة، عندما يضربهم وباء، أصابهم قبل فترة فيروس الكورونا، فشددت مراقبتي على المصابين، هم كثر ومنهم مَن يلتزم بالعزل الذي كان في المستشفى ثم صار في المنزل، ومنهم مَن لا يلتزم بأي شيء، بالنسبة لأقرانه من بني الإنسان، هذا أمر مؤذي؛ لأنه سينقل لهم الإصابة، وبالنسبة لي، صنع – باب رزق – جديد لأنه سيزيد أعداد الموتى، أنا لست أسوأ شيء بالنسبة للإنسان، لكن في الوقت نفسه، لا يمكن للإنسان أن يختارني، أن يختار متى يموت أو كَيف يموت، قد يلجأ البعض منهم لطرق مختلفة؛ ليَرتموا في أحضاني، يقذفوا أنفسهم أمام القطارات، يلقون أنفسهم من فوق برج القاهرة، يشربون كميات كبيرة من المخدرات أو أقراص المنوم، يعرضون أنفسهم للإصابة بالكورونا، ومع ذلك، لن يكونوا أمواتًا إلا عندما تنتهي حياتهم، وعندما تنتهي حياتهم، ويروني جئت لهم في هيئتي أو هيئة شخص عزيز عليهم، كان ضيفي من ذي قبل، فأخذت صورته، يحاولون الهروب مني، يحاولون الحصول على ساعات إضافية لهم في الحياة، لكن لا أحد يهرب مني؛ لأن قوتهم لا تُقارن بقوتي، ولأن الساعات الإضافية لن تنفعهم في شيء، لمثل هذه اللحظات الفارِقة، ينبغي أن يعمل الإنسان؛ ليجد مني الرفق واللين؛ ليراني في شكل شخص كان يحبه؛ لأختار له طريقة مناسبة سهلة؛ ليذهب في سلام؛ ليحدث هذا لا أطلب منه إلا أن يرحب بي، يقبل وجودي، لا يخافني، لا يخاف الكورونا؛ لأني أنا لست الكورونا، يعيش كما يحب أن يعيش ويحافظ على لحظاته.

3

الحياة ماضية بكل ما فيها كأن شيئًا لم يكن، اليوم انتهى عزلي المنزلي، أخبرني الطبيب أني شُفِيت، تركت شقتي وما بقى من العلاج وأنبُوبة الأكسجين التي لم أستخدمها، ونزلت قُدت سيارتي الصغيرة إلى الشاليه الذي أملكه في الغردقة، ست ساعات وأنا وحدي مع أفكاري، اجتزت بوابة القرية، لم يركز حارس الأمن في أوراقي، شعرت بهواء البحر البارد المُنعِش، كانت القرية خالية تقريبًا، يبدو أن إعلانات تنشيط السياحة الداخلية لم تؤتِ ثمارها. وصلت إلى الشاليه، ركنت السيارة. لا شك أني سأنعم بوقت هادئ، هذا الصفاء والجمال، هذا الصمت صعب أن يكون في العاصمة المزدحمة. دخلت الشاليه، فتحت النوافذ، اشعلت التلفاز، أخذت حمامًا، ثم جلست أمام النافذة أتطلع إلى السماء والنجوم، قمت لأعد لنفسي كوب شاي، وأنا في المطبخ استمعت لطرق على الباب، تجاهلت الأمر في البداية؛ لأن لا أحد يعرف أني هنا، ثم تكرر الصوت بشكل أعلى وأوضح، اتجهت نحو الباب، فتحته ببطء، رأيت زوجتي التي زارتني قبل أسبوع من نافذة الشقة، الآن أتت الشاليه من بابه، لم يكن حلمًا

أو خيالًا إذًا! تراجعت خطوات من المفاجأة، فدخلت وقالت بصوت مرح:

- مساء الخير
- أغلقت الباب واستدرت، جلست على الكنبة، وقالت:
- آسفة على إزعاجك، لكن جئت في موضوع مهم.

جلت على الكرسي أمامها، ورحت أنظر إليها وأتفحص ملامحها، لأتأكد أنها حقيقية، وأنا أشعر بشيء من الخوف والقلق، كانت ترتدي تايير أسود وحذاء أسود، بدت أنيقة هادئة الملامح، كأنها في سن العشرين، نظرت إلي، وأراحت ظهرها على الكنبة وقالت:

- أنا زوجتك أمل
- مستحيل

ضحكت وقالت ببطء:

- أعرف أن الموضوع صعب عليك تصديقه، لكن أنا زوجتك أمل وجئت لأصحبك معي
- إلى أين؟
- لا أستطيع أن أشرح لك أكثر من ذلك.
- جئت من القاهرة لكي أقضي أيام أجازه في هدوء
- بل جئت لتلتقي بي هنا..

انتابتني قشعريرة، وتسارعت دقات قلبي وتصبَّب العَرَق مني، وشعرت أنني سأفقد الوعي. وكأنها أشفقت على حالي، فابتسمت بودٍّ وقالت:

- يا حبيبي، أنت تعرف أني أحبك وجئت من أجلك، هذه هي الحقيقة وهذه هي الحياة.
- سأموت الآن؟!

- لا تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة وكأنه بشع أو قبيح. كل شخص له عمر والعمر ينتهي في وقت ما .

هكذا قالت بصوت خافت حنون، ثم قامت من مكانها وجلست بجواري على طرف الكرسي، ومدت يدها بهدوء ووضعتها على كتفي..

كاتب المهرجان

لا يبدو أن زوجته ستنام الآن. جلسا يتابعان برنامج التاسعة بصمت يستمعان هو وهي، للفقرة الأخيرة، إلا أنه كان يفكر في شيء آخر.. امرأة، مهرجان، لحسن الحظ، أن زوجته منسجمة مع البرنامج، المذيع تبدو عليه علامات النعاس، والضيف يتحدث بثقة عن مشروعات حكومية مهمة. يفكر محمد الذي لُقِّب بالخديوي منذ ثلاث سنوات، لماذا كل برامج اليوتيوب تتحدث عن حنان إسلام؟ ولماذا لم يلتقِ المذيع بها ويتحدث معها أربع ساعات؟ يشعر أنه ما عاد يستطيع البقاء في المنزل، هو كما يحب مشاهدة فيديوهات حنان إسلام، يحب الخروج إلى المطعم، إلى الشارع، إلى استديو المعلم أشرف، هناك الوقت يمر أسرع، الجو أجمل، يلعب مع المعلم أشرف وحنكش وعلي ديدي الدومينو، ويدخنون السجائر ويسجلون المهرجانات، هو كاتب مميز، لا شيء صعب في كتابة أغاني المهرجانات.

يمكنه تذكر رحلته مع المعلم أشرف في هذه المهنة، قبل ثلاث سنوات، عندما خطب سمر، كان يعمل في مطعم فندق، ثم استدعاه

مديره وطلب له ليمون وأخبره أنهم قرروا الاستغناء عن بعض الموظفين بسبب مشكلة السياحة، وتمنى له التوفيق وسرعة إيجاد عمل آخر، وعندما عاد، وجد عملًا في مطعم المعلم أشرف، ولما توطدت الصداقة بينهما، استدعاه المعلم أشرف وطلب له ليمون وقال: إنه قرر العمل منتج مهرجانات ويريده أن يكتب هو المهرجانات لحنكش وعلي ديدي شيفَي المطبخ؛ "لأنه موهوب، ولأنه سيكسب منها كويس، وسيستطيع أن يدخر لزواجه؛ لأن الزواج نصف الدين، ولأن خطيبته التي كان يناديها وقتها سمورة مش هتستناه كتير"، من يومها وإلى الآن، يكتب المهرجانات، وكل الناس أصبحوا ينادونه ويكتبون اسمه الخديوي، عدا زوجته التي لم يخبرها بأنه خديوي، حتى لا تحسده، فتزول النعمة، كما حدث أول مرة، عندما خطبها فطُرِد من عمله في الفندق.

قامت زوجته التي يناديها الآن سمارة، كما لو أن شيئًا ناداها، متثاقلة بكلواتها الخمس وثمانين، غير المناسبين لحياتها وأحلامها وكلامها بأنها نباتية! في الخطوبة كل البنات نباتيات! وعادت سريعًا بطبق به أرز وقطعة دجاج.

ينظر إليها وهي تأكل..

- أنتِ هتصومي رمضان صح؟

- لا طبعًا أنت مش سامع الراجل وهو بيقول ماينفعش نصوم في الوباء؟

- يعني لو ماسمعتيش الحلقة دي كنتِ هتصومي؟

- الحمد لله إني سمعتها وإلا كانت مناعتي ضعفت واتنقلت لي من أي حتة.

- أمال مش بتنفذي التعليمات التانية ليه؟ كل يومين عند أمك وكل شوية في البلكونة وبتبوسي أي ست تشفيها حتى لو لسه شيفاها من ساعة!

سكتت زوجته، ربما يقول شيئًا آخر، لكنه نظر للسقف، لا أحد يستطيع أن يطيل النظر في اللمبة، خاصًا التي يسمونها فينوس، من أين يأتي النور في الأحلام؟، كيف ينام الإنسان وهو يعلم أنه موت وربما لم يستيقظ مرة أخرى؟، لماذا يخشى الإنسان الموت؟ ماذا لو عرف الإنسان عمره؟ هل سيقضي أيامه الأخيرة يتعبد أم يضاجع زوجته؟ وضعت سمر الطبق جانبًا، عندما أعلن المذيع انتهاء الحلقة ووعد بأخرى في الأسبوع المقبل مع نفس الضيف، وكما لو أنها تستغل الوقت هو صح مجتلكش رسالة عشرين تلاتين؟

قالت مبتسمة لزوجها الذي رن هاتفه معلنًا عن رسالة جديدة، فتجاهله.

- لا كفاية أنتِ قبضتي وبقيتي من عمال اليومية.

- بيقولوا هايفتحوا التقديم تاني بعد الكورونا متخلص

- يعني هيا الخمسمائة جنيه هتعمل حاجة مع حد أصلًا؟!

- حلوين يجيبوا خمس ست فرخات

- وأنا إيه اللي يخليني أجيب فراخ طالما هتاكليها لوحدك وتتخني زيادة!

عندما يكون رده هكذا، تسكت، تتناول الريموت، تقلب في القنوات، ويقوم هو بحمل هاتفه في الثانية صباحًا كأنه سيبدأ يومه.

****

من غير المحتمل أن يجلس الإنسان في منزله كل هذا الوقت، وأن يكتب لساعات طوال، طريقته في الكتابة بسيطة، يسمع الأغاَني والبرامج، فيلتقط بعض الجمل، ثم يُصيغها بأسلوبه ويضيف تحية لأصحاب الفرح الذين يدفعون حتى يسمعوا أسماءهم، وفي النهاية، أسماء المغنين والمعلم أشرف. أن يكتب الإنسان يعني أن يهرب؛ يهرب من زوجته، يهرب من الملل، يهرب من الكورونا، لكن لا أحد يهرب من الموت. هنا يجلس في غرفة الأطفال التي يكتب فيها، والموت في الخارج ينتظر من يخترق الحظر بدون كمامة، يقرأ رسالة حنكش مرة أخرى "عاوزك تكتب لي مهرجان أرد بيه على ديدي وأعلي عليه" كأن حنكش قال ما يجب أن يقوله، الأمر له الآن، هناك الكثير من الملابس على السرير، لم تُطبقها سمر قط، لكنه ينجذب لِرداء أزرق يسمونه الآن "جلابية" على السرير الآخر، مُرصعة برسومات قليلة جميلة، لم يتذكر أنه شاهدها من قبل، يبدو أنها ابتاعتها من قبض عمال اليومية.

كيف سيبدأ مهرجانه؟

يشعر أنه يريد أن يكتب عن "حنان إسلام" سيكون المهرجان الأول الذي يُغني لها، يمكن أن يحقق المهرجان نجاحًا كبيرًا، وسيحظى بشهرة عالية، ولا بد أن أجره الضعف. يفكر لو كانت زوجته سمر هي حنان إسلام، هل كان سيجلس هنا الآن؟ سيتركها لحظة؟ الآن عليه أن يكتب، وتأتيه الجملة كأنها تنحدر من السحاب من الليل الدافئ.

كل البنات مش تمام إلا حبيبتي حنان إسلام

الجملة تعلق في الذهن كوجهها المنير، والمهرجان بدأ للتو. من غير المهرجان الأفراح ناقصة، والشباب ليس لديهم ما يسمعونه في

الحظر، يركز على جملته ليَستجلب من الليل الدافئ، الكلمات، وفي الخارج سمر أغلقت التِيلفزيون وقامت لتنام، ولم تأخذ الطبق الفارغ معها. طُرد من المطعم بعد أن خطبها بأسبوع، ونجح في المهرجانات؛ لأنه لم يخبرها، ما كان عليه أن يتزوجها. شعر بضرورة ارتشاف كوب شاي، ترك قلمه وقام للمطبخ، الناس يشربون الكثير من أكواب الشاي في الحظر.

***

جاتلي الكورونا وأصحابي غابوا
والدكاترة ما عرفوا علاجهُ
اتجوزت حنان إسلام
خفيت وبقت الصحة تمام

انتهى للتو من الكتابة بعد أربع ساعات، ارتشفت فيها ثلاثة أكواب شاي، هذا ما تمناه، الشيئين معًا؛ زواج حنان إسلام وعِلاج الكورونا، عاد برأسه للوراء، حدق من جديد في الجلابية الزرقاء، وكأن شيئًا غريبًا بدأ، بحيث أصبحت الإضاءة أقل، وبرد الشتاء عاد من جديد، تضطرب أفكاره، وكل شيء في الغرفة يُصاب بالكورونا، يتلاشى دون إنذار، السريران وأكوام الملابس والنافذة، وظلام الليل الداكن يُحيطه، لا شيء هنا غيره، بِمشقة يتنفس يقاوم، فلا تستجيب له

أعضاؤه، كما لو أن روحه متعبة، ومن الأعلى يهبط شعاع ضوء يخترق البرد والظلام، يحدق الخديوي عينيه، الضوء يتسع أكثر، فتظهر هي "حنان إسلام" جالسة على كرسي من ذهب، وعلى رأسها تاج من ذهب، عيناها الخضراوان، ووجنتاها الحمراوان، ونهداها المناسبان تمامًا لأحلامه. ورغم أن ملابسها كالتي ترتديها في الفيديوهات، فإنها تُظهِر تفاصيل الجسد بشكل أكثر حلاوة، جالسة كما لو أنها تجلس هنا من آلاف السنين، تقول شيئًا لا يسمعه، فيجتاحه الثقل والغضب، وهي تطقطق أصابعها "هايبقى مهرجان حلو أوي" قالت هذا والخديوي صامت، ينظر لابتسامتها النقية، تبدو أقرب له، تتلاشى المسافة، وهذا طبعًا أجمل. يشعر أنه يريد أن يلمس الحياة، "أنا حبيت إنك عملت لي مهرجان وهاحبك أكتر لو كتبت فيلم ليا، أنت هاتكون أهم مؤلف واا حبيبي" تقول ذلك بصوت رقيق كالمطر، وهي تبتسم وتكشف عن أسنانها المتراصة كاللؤلؤ، وتستعرض جمالها بكرم كبير. البرد قليل الآن، وهو لا يخشى الكلام، وأنفاسه انتظمت أكثر.

"أنا بحبك" وعندما يتجرأ على لمس الخد الناعم، لا يجده! تعود الغرفة فجأة كما كانت، السريران وأكوام الملابس والنافذة، والأوراق والقلم التي أمامه، لا بد أنه أخطأ في محاولته اللمس، ولا بد أن تعود غدًا، سأعتذر لها على أي حال، لا بد أن زوجته سمر نائمة الآن في الغرفة الأخرى، إن الأوقات الجميلة قصيرة في الحياة، لم يحصل على ما يريده من اللمس، لكنه حصل على نبوءة الحب والكتابة، "المرء يحيا ويموت وهو يبحث عن الحب، ولا أحد يساعده؛ لأن كل شخص يحتاج لمساعدة، ويشعر أنه يحتاجها أكثر بكثير من غيره، ولأن الناس لا تتفاهم، يستغل كل منهم ما لديه من بغض، ويشق طريقه منفردًا، فتكبر المسافة بين الإنسان والإنسان، فتولد الأوبئة من المعاناة وتكبر وتَكثُر، تملأ الحياة" يفكر الخديوي.

ولحسن الحظ أنه تعب من التفكير، ولأنه تعب يرتاح على السرير الذي عليه الجلابية الزرقاء، ومع أنه كان يخطط أن يذهب لاستديو المعلم أشرف من غير نوم، يغمض عينيه ويحاول أن يغفو.

***

يجلسون على الأرض، المعلم أشرف وحنكش وعلي ديدي، رغم وجود كراسي في الاستديو. المعلم أشرف يحب الحشيش، راح يخلط التبغ بِإتقان، علي ينتظر أن يظفر ببعض الأنفاس، ويبدو أن حنكش اقتنع بالسيجارة العادية، فهو لا يريد أن يفقد وعيه أو تتغير نبرة صوته قبل تسجيل المهرجان، ينتظروا الخديوي ليكتمل مربعهم. يبدو أن علي مستاء من الصمت:

-بيقولوا إن عدد الإصابات اثنين مليون دلوقتِ.

قال محاولًا فتح نقاش، ولا بد أنه فشل في اختيار الموضوع، فهذا الكلام لا يناسب الجلسة،

-الفيروس ده صناعة أمريكية علشان كده ربنا جزاهم وأكتر ناس ميتة من عندهم.

قال حنكش والسيجارة بين شفتيه، كانت اللحظة مناسبة لعلي ديدي أن يقول ما سمعه في برنامج تلفزيوني

- بس مافيش دليل على الكلام ده، دا وباء من غضب الطبيعة وصاب العالم كله زي الطاعون والشدة المستنصرية.

راقت جملة غضب الطبيعة المعلم أشرف، لكنه ظل صَامتًا، حنكش وكأنه انتصر في النقاش
-بس الشدة المستنصرية دي مش وباء دي مجاعة بس شديدة شوية علشان إثيوبيا قفلت على النيل كذا سنة.

هناك أشياء كبيرة لا يعرفها علي ديدي، لكنه لم يتوقع أن الشدة المستنصرية مجاعة، كان سيقول الكثير عن أثيوبيا والنيل، لكن عندما دخل الخديوي، تغير مجرى الحديث، سلم عليهم وجلس، عندها، نطق المعلم أشرف للمرة الأولى في الجلسة

- أنا قررت أفتح شركة إنتاج مسلسلات.

الوقت ما زال مبكرًا على فقد الوعي من الحشيش، يبدو أنهم ينتظرون الكثير من التوضيح، لهذا تابع المعلم أشرف

- دلوقت المحلات قافلة، حتى شركة المقاولات اللي في العاصمة وقفوا لنا الشغل هناك مفيش حاجة شغالة غير إنتاج المسلسلات ماشفتوش كام مسلسل نازل في رمضان؟

فكر الخديوي فيما رآه بالأمس وأراد أن يقوله، لكنه قال:

- فكرة حلوة بس هاتتكلف كتير.

بدى المعلم راضيًا؛ لأنه وجد مؤيدًا وحنكش وعلي ديدي يفكران إذا كانا سيحصلان على أدوار في المسلسل!
ناول المعلم قطعة الحشيش لعلي ديدي، الذي راح يتحسسها بحنان.

- أنا هاجيب مواهب جديدة، والبطلتين حنان إسلام وسوسو.

لا أحد من الثلاثة يعرف سوسو! ربما هي صديقة المعلم، وهي التي أقنعته بالفكرة، أيجب على أحد منهم أن يسأله؟ لكن المعلم قطع عليهم طريق السؤال، أخرج هاتفه وأسرع من أي شيء

آخر شغل فيديو، وناوله لحنكش الذي شاهده ثم ناوله بدوره للخديوي، وعلي ديدي ينتظر أن يراها. كانت هي.. زوجته سمر هي سوسو!! بطلة موقع التيك توك وبطلة المسلسل، ظهرت في الفيديو في غرفة الأطفال، مُرتدية الجلابية الزرقاء، بدت مُختلفة عن الحقيقة، تتمايل على مقطع أغنية المهرجان، أعاد الفيديو مرة أخرى، وعلي ديدي ينتظر، لم تتغير ملامحه ولم ينزعج، يبدو أنه لا يشعر بشيء أبدًا!

الحد الثالث

خرج زوجي عمر من السجن بعد خمسة أشهر. وجاء إلى منزل أمي بوجه ملؤه الشوق والحذر، لم يكن يعرف ما يقوله ولم يكن يعرف ما يفعله! وجد بنتنا تصنع بيتًا بالمكعبات، فجلس على الأرض يلعب معها ويضحكها. ودعته أمي للجلوس على الكنبة، فجلس وقالت:

- ماذا تنوي أن تفعل؟
- أريد أن تعود زوجتي وابنتي للبيت فقط.
- تلزمها فترة قصيرة للتفكير.

في الحقيقة، لا أعرف إذا كان يريد لم شمل الأسرة حقًّا، أم لعب إبليس في عقله وحبب له الانتقام مني! على كل حال، لم تعد الأمور كما كانت. الشتيمة والضرب بالنسبة لي باتا خط أحمر، لم أقبل بهما

قط، ولو تكرر الأمر، ستكون قضية الخلع هي خياري الوحيد، ولم أفعل ما سأفعل إلا حفاظًا على حريتي وصحتي النفسية ومستقبل ابنتي.

أتذكر ما فعله يومها، عندما رجعت من المدرسة، ومررت على حضانة ابنتي، كنت مرهقة فاستسلمت للنوم بعد أن نامت. لأسْتيقظ بعد أقل من ساعة على صوت صياحه؛ لأني لم أعد الغداء، ولأنه عائد من عملة جائع جدًا، كأنه يظل منذ خروجه حتى عودته على وجبة الإفطار! حاولت الاعتذار له، وعندما عاد لهدوئه، اقترحت طلب دليفري. فقال غاضبًا:

- لا أعرف سبب حبكِ لأكل الشارع! إن كنتِ لا تستطيعين التوفيق بين عملك وشغل البيت، اتركي المدرسة أنا لا أحتاج راتبكِ.
- قلت لك: إني لن أترك عملي أبدًا
- جربي حظكِ في العمل من البيت
- أتعجب من هذه الغيرة!

لما سمع كلمة الغيرة، استولت عليه حالة من الجنون! ولما صفعني على وجهي، لم أسرع بالهرب منه، فأرسل قدمه نحو بطني بركلة قوية كأنه لاعب مصارعة حرة، وتواصلت الصفعات والركلات. لم أنتبه لعدها، وأُغشِي علي، فلم أنتبه لنفسي إلا وهو يوقظني..

منذ أول زواجنا والنقاشات بيننا تبدأ بهدوء ثم تشتد، لكن هذه أول مرة يصفعني، الصفعة ثقيلة، هزيمة، قد تكون سبب ظلمة القلب والعذاب النفسي، الصفعة خطيرة تستمد خطورتها من إمكانية تكرارها؛ لأنها ستكون بعد ذلك عادة يومية، طاغية على معاني الحب والإنسانية، ومن يدري، فلعلها تكون بداية السلوك السادي.

قبل منتصف الليل، حاول الاعتذار كثيرًا وكانت تبريراته مختلفة، منها أن حق الزوج ضرب الزوجة الناشز. حاولت إقناعه بأن الضرب الحد الثالث بعد الموعظة والهجر في المضاجع، وأن المقصود في الشريعة هو ضرب رمزي له حدود وضوابط، وإن التأخر في إعداد الغداء لا يعني النشوز، وطبعًا لم يقتنع وعاد لغضبه فعدت لصمتي، وعرفت أن زواجنا وصل لمرحلة خطرة، وشكرت الله أن ابنتي في عامها الثالث لا تدرك ما تسمع.

في اليوم التالي، قالت لي زميلتي أماني معلمة اللغة الفرنسية التي فسخت خطوبتها ثلاث مرات:

- إن ست وثمانين في المئة من الزوجات يتعرضن للضرب من الأزواج

وأكدت كلامها دعاء معلمة التربية الفنية التي انفصلت عن زوجها قبل شهر، قائلة:

- نصف عدد الزيجات تنتهي بطلاق، فهناك حالة طلاق كل دقيقتين.

وقالت لي صديقتي المحامية أمل التي تجاوزت الأربعين سنة ولم تتزوج ولم تُخطَب من قبل:

- كيف تكوني قدوة لابنتكِ وأنتِ تَتعرضي للعنف الأُسري؟

ونصحتني بتقديم شكوى بالتعرض للضرب، ولما حكمت محكمة الأُسرة على زوجي بالسجن خمسة أشهر، جئت لبيت أمي.

عندما عاد زوجي بعد أسبوع مصطحبًا معه خاله، خفق قلبي خوفًا وتردد، وتحدث خاله وأمي عن لم شمل الأسرة ومستقبل البنت، ودندن عمر زوجي بأنه نادم وآسف ولا يستطيع الاستغناء عني، فلم أرفض ولم أقبل وسألني خاله:

- ماذا تُريدين لكي تعودي يا سمر يا بنتي؟

- ما أريده هو أن أصفعه كما صفعني.

فنظر عمر للأرض ببرود، وقال خاله وهو يمرر يده على وجهه:

أنتِ لا تريدي الصُلح..!

عودة.

ذات مساء، عاد وحيد إلى قريته، عرفه كثيرون، رغم تغير مظهره، الجلابية والحذاء والعصا، والسيارة التي لا يعرف أحد نوعها أو سعرها، وربما الكثير من الأموال في حساب بنكي، لماذا عاد؟..

عاش في منزله القديم، واتجه دون دعوة إلى مندرة شيخ البلد، وجلس كأنه صاحب بيت، كان الشيخ يراقبه باستغراب، وتعجب من لحيته، التي لم تكن هكذا – ولم تكن قط – عندما غادر القرية، سأله وحيد عن أحوال البلد، وسأله الشيخ وهو يقترب منه وينظر في عينيه:

- ما سبب عودتك؟

فقال وحيد وهو يشعل سيجارة بنية اللون:

-جئت لأفتح بيت أبي.

فقال الشيخ بغيظ:

- مات أبوك وعليه ديون لأهل القرية وهربت أنت أعلم بالحكاية كلها.

فقال وحيد بلهجة تحدٍ وهو يلقي السيجارة ويخرج لبانة – من التي تزيل رائحة الفم – من جيبه:

- كان ما كان زمان وها أنا رجعت يا شيخ ومن له دين، يطالب به.

فقال الشيخ بحنق:

- افعل ما تريد، لكني سأبلغ مأمور القسم، إذا حدث شغب.

***

وانتشر الخبر في القرية والقرى المجاورة، مثير بين الناس الاشمئزاز والغيظ والحنق، وراح منزل وحيد يتحول إلى سرايا بحديقة واسعة؛ ليعيش فيه وهو الذي غادر القرية قبل ثلاث سنوات – هاربًا أو متخفيًا – إلى بلد عربي، بعد أن مات أبوه الذي جمع من الناس أموالًا؛ ليستثمرها لهم، ووعدهم بأرباح كبيرة، لم يأخذوا منها دفعة واحدة.

كان شيخ البلد في منزله وجاءت زوجته – التي سُرق ذهبها في حادث غامض قبل ثلاث سنوات – وسألته وهي تناوله كوب شاي:

-أليس من الممكن أن يتشاجر معه الناس أو يقتلوه؟

فقال وهو يعتدل في جلسته؛ ليرتشف الشاي:

-أبوه مَن أخذ المال ولم يأخذ أحد منه شيكًا أو إيصال أمانة.

وبدأ وحيد في ممارسة عمله الجديد، اشترى قطعة أرض زراعية وجرفها وأنشأ عليها ملعب كرة قدم، بنجيله صناعية وسور عالي. وتوافد الشباب على الملعب يقسمون الفرق وينظمون المباريات،

وتغاضى عن نظرات الكراهية مِن أعداء النجاح، وشعر بثقة كبيرة، وعزم على إنشاء مقهى كبير بجوار الملعب؛ لينتظر عليه مَن يريد اللعب من يلعب، وقال له شيخ البلد ناصحًا أو حاقدًا:

- هذا المشروع لا يناسب تقاليد القرية

- لا فرق الآن بين القرية والمدينة

- إنك تشغل الشباب عن العمل والدراسة

- فائدة المشروع الحقيقية توفير مكان للعب بدل من تسكع الشباب في الشوارع ومضايقة المارة.

شَرع وحيد في إنشاء مسجد كبير وأعلن أنه سُيجهزه على حسابه ولم ينتظر دعم الوزارة؛ لأن يومها بسنة، ارتاب منه البعض وتحمس له البعض، وتساءل الشباب لاعبي الكرة في الملعب، عن الإمام الذي سيخطب الجمعة في المسجد، واسترحن النسوة الجالسات في الشارع لتفسِيرهن، أنه يريد أن يُكَفِّر عن ذنوب أبيه، ووافقت زوجة شيخ البلد وأكدت أنه يُخلَق من ظهر الفاسد عالم، وأعلن إمام الزاوية التي في آخر القرية استحسانه مؤكدًا أنه عمل خيري جليل، وأدرك شيخ البلد أنه يريد بإنشاء المسجد استعطاف الكارهين له وجذبهم، وانتظر رد فعل أهل القرية، وعزم النية أن يبلغ المأمور ويطلب العون، إذا حدث أي شغب.

وكان وحيد في السوق يقف أمام محل السجاد بثقة، يرتدي ثيابًا فاخرة بنطلون جينز وكوتشي رياضي ولا يمسك عصًا، يعد النقود لتاجر السجاد، ولما رأى شيخ البلد، أقبل عليه وحياه تحية تليق به، وقال بصوت منخفض وهو يبتسم:

-إمام الزاوية يريد أن يكون إمام المسجد الجديد.

نظر إليه شيخ البلد باهتمام، وتابع وحيد دون أن تفارقه الابتسامة:

-لا أجد أعلم منك في القرية ولا أحق منك ليكون إمام المسجد.

وساد الصمت لحظات، وتركزت أعين المارة عليهم في استفهام واهتمام، وجاء تاجر السجاد وحيا شيخ البلد تحية تليق به، ثم نطق بما يفيد أن السجاد سيحمل الآن على سيارة ربع نقل وسيصل للمسجد بعد ساعة، ولما انصرف عائدًا لمحله، قال وحيد بصوت يشبه الهمس:

-سيكون لهذا العمل الخيري التطوعي ثواب عظيم وراتب كبير.

عند ذلك، قال شيخ البلد:

- سأفكر في الموضوع.

***

كان الفريق ذو اللون الأخضر يلعب بمهارة؛ ليتعادل مع الفريق ذي اللون الأصفر، وكان وحيد في المقهى بجوار الملعب يجلس وحوله مجموعة من الشباب – المعجبين به التابعين له كظله – يدخنون سجائر بنية اللون، حكى لهم عن أبيه الذي خسر أمواله في التجارة، ثم حكى عن فرص العمل في البلد العربي التي كان فيها، ثم حكى عن مَشروعه الكبير الذي لا يعرف متى سوف ينفذه، ولم يكن اللعب والسهر والاستماع للحكايات هو هدف وأمل كل الشباب، إذ قال أحدهم:

- ماذا يمنعك عن تنفيذ مشروعك؟

- يلزمه مال كثير

ومضى يشرح لهم كأنه محاضر جامعي تفاصيل المشروع الكثيرة ومكاسبه المثيرة، ومضى الأمر في طريقه المأمول، عندما قال أحدهم:

- يمكننا المشاركة فيكون لكل شخص سهم في المشروع

وانتظر وحيد أن يفصح أحد الشباب عن قلقه أو ريبته، ونظر في عيونهم، فقرأ فيها ما جعله يبتسم.

وكان شيخ البلد منفردًا في مَناظراته، يفكر كم سيكون راتب إمام المسجد، ويتردد بين الموافقة والرفض، وسمع صوت زَوجته تبكي كالمجنونة، ودخلت عليه وقالت وهي تلطم وجهها بيدها:

- فلوس مهر البنت سُرِقت من الدولاب.

القرين

لو كان أحد قال لي من قبل إن للإنسان قرين من الجن يأتي في أحلامه، ما كنت سأصدقه، كنت سأهزأ منه قائلًا إن هذه تفسيرات الجهلة التافهين الذين يريدون أن تكون تصرفاتهم ليست بإرادتهم.

استيقظُت في السابعة صباحًا، اليوم ممتلئ بالمحاضرات، قمت، غسلت وجهي، أعددتُ لنفسي كوب شاي، وعدت لأجلس على الكرسي أمام النافذة، أُراقب الشقة التي أمامنا لعلي أرى 'بسنت' من نافذتها أو خارجة لمدرستها، فكرتُ أن لا أحد من طالبات الثانوية تتأخر على طابور الصباح، بينما أنا أستطيع تفويت المحاضرة الأولى لمشاهدة ابتسامة 'بسنت'.

وحتى تخرج، أتصفح 'الفيس بوك'، دائمًا هناك رسائل كثيرة هذه الرسالة طويلة وغريبة، آخرها.. أرسلها لألف شخص، وإلا

سيُصيبك حزن شديد، تأخرت 'بسنت ' لا بد أنها الآن تُجهز حقيبتها المدرسية، جميلة هي بسنت، أعتقد أنها مغرمة بي، تفوقي في كلية الحقوق، ومعارفنا التي تزيد فرصَتي بالالتحَاق بالنيابة العامة، ووسامتي، وتشيرتاتي ذات العلامات التِجارية الشهيرة، تجعلني فتى أحلامها بالتأكيد.

أطبقتُ عينيّ، لستُ متأكدًا من أني نائم أو مستيقظ، لكن شيئًا غريبًا أشعر به، لا إرادة لدي، لا طاقة عندي لتَحريك الجسد، أين ذهبت قوتي؟ في لحظة، ضاقت الغرفة، ونور الصباح الساقط من النافذة اشتد بياضه، وحدي أنا جالس على الكرسي، وهذا الشيء الغريب الشبيه بالظل، أو بمسخ، يتدلى على الحائط، اقترب مني، في وسط الغرفة، يتسع حجمه ويتكور، ويسود لونه ويتَدور، هذه هي أعمالي السوداء، سأموت الآن!. ارتعشت يداي، عندما ظهرت نقطتان حمراوان،؟ قوم أفطر؟.. كانت أمي توقظني لتناول الإفطار، على السفرة، عندما رأيت 'عصير الجوافة 'من التي دستها أمي في الثلاجة قبل بضع شهور، عرفت أن مزاجها جيد، فسألتها عن الحلم، قالت وهي تضيق عينيها كأنها وزيرة الخارجية:

- بص كل إنسان ليه قرين من الجن وده الشيطان بتاعك بيعيش معاك وبيبقى قريب منك على طول وبيظهر لك في الأحلام ساعات بس مش مؤذي، ماتشغلش بالك.

خبرة أمي في تفسير الأحلام، المُستمدة من مشاهدة البرامج، جعلتني أطمئن قليلًا، وكنتُ لن أشغل بالي، كما نصحتني، لولا أن عاد لي هذا المسخ اللعين في الظهيرة..

***

في الواحدة ظهرًا، وقفت في البلكونة أنتظرعودة 'بسنت' من المدرسة، ولما تأخرت تمددتُ على السرير، لا بد إنها في الدرس الآن، راودتني فكرة أن تكون 'بسنت' غضبت من مراقبتي لها، فدعت أن يضايقني هذا المسخ، لكن لو كانت كذلك لماذا تبتسم لي؟ لا بد أن أسألها في أقرب فرصة.

- ما هذا..؟ أين أنا..؟

رأيتني أعوم في بحر لونه أحمر وبسنت تراقبني على الشاطئ، ثم رأيتني في قاعة محاضرات وبسنت تشرح لي وتبتسم ثم عبست وأخرجت مسدسًا ووجهته نحوي، ثم رأيتني في مصعد كهربائي مكبل اليدين والقدمين وقط أسود يقف أمامي طالت رقبته واستطالت، كرقبة الغزال، قال لي وقلبي يخفق، 'ينفع اللي عملته ده!.' بصوت أمين شرطة متعصب

- إيه هو.؟

- موبايلك بيرن

أيقظتني أمي من نومي لكي أجُيب على اتصال صديقي 'مدحت'، الذي سألني عن تغيبي من الجامعة اليوم، وأنا أفرك عينيّ، ثم أخبرني أنه أحضر لي منظارًا لمراقبة بسنت، وأنا أشرب بعضًا من الماء، ثم أكد عليَّ ضَرورة مقابلته عند الحلاق في المساء، فطلبت منه أن يحضر لي مطوة قرن غزال، وأنا أغلق الموبايل، هذا القرين اللعين يأتي لي في الحلم، وإذا لم أوقفه عند حده، سيأتي في العلم، يجب أن يبحث لنفسه عن تسلية جديدة بعيدًا عني، ستكون المطوة هي الرادعة لِأفعاَله والمانعة لألاعيبه.

***

عندما ذهبت لمحل تصفيف الشعر، كان غير مزدحم، لا أحد غيري أنا ومدحت والحلاق القصير الذي يحب تدخين السجائر أكثر من أي شيء، ولا يسمع غير المهرجانات، "قتلت كل أخصامي وعَرقبت بالمطوة شيطاني"، عندما قال المغني هذه الجملة المهرجانية، كان الحلاق قد انتهى من تصفيف شعري، فاسترحتُ من لسعات السشوار، وعندما قمت ليجلس صديقي 'مدحت'، ليحلق بدوره، ناولني كيسًا أسود، وسألني بفضول عما سأفعله بالمطوة، سكت، وعندما قال الحلاق إنه معه مطوة أيضًا ولم يقل لأحد سري، تكلمت، ثم قال مدحت وهو يتصنع الجدية كأنه خبير سياسي شهير -إن القرين أكيد بيعمل كده علشان مش عايزك تكراش على بسنت لو حصل أي حاجة ما تتصلش بيا اتصل بشكاوى مجلس الوزراء. وأكد الحلاق الذي عد نفسه من أصدقائنا، كلام مدحت، وأضاف وهو يَنفخ دخان سيجارته التسعين.

- أنت لازم تشتري مسدس لأن المطوة مش هتموت القرين.

بالطبع لم أهتم لما قَالوه، فَرجال مجلس الوزراء لا يعانون الفراغ؛ ليهتموا بشخص يحلم بقرينه.! سينصحونني بتناول حبوب منومة ثم يُغلقون الاتصال في وجهي..

***

وصلت العمارة في العاشرة مساءً، لم تكن الإضاءة في غرفة بسنت مشُتعلة، لا بد أنها عادت من الدرس مرهقة، فنامت، فضلت

الصعود على السلم، عندما تذكرت القط الذي طالت رقبته في الحلم، في الطابق الثاني، انقطع التيار الكهربائي، فشعرت بالخوف، الذي زاد وازداد، عندما ثقلت قدماي، وكأنها التصقت بمادة صمغية مستوردة، هذا ليس حلمًا، أشعر بأشياء من حولي لا أراها، إنها تنفخ في أذني، ومن أعلى الدرج، وسط الظلام، ظهر هو، القط! بيد أنه أكبر حجمًا مما كان عليه في الحلم، لكن رقبته ليست رقبة غزالة، بالعينين الحمراوين، نظر نحوي، فارتجفت خوفًا، وتيبست فزعًا، لما قال لي 'ينفع اللي عملته تاني'..

- هو إيه ده.!

-أنت مش عارف إن السيشوار بيعصبني!

القرين قريب جدًا، غريب جدًا!، ومَن قال غير ذلك؟ القرين يأتي في الحلم وعلى السلم! ومَن يتجرّأ على مخالفته ومقاتلته! لم يغضب لعدم إرسال الرسالة الفيسبوكية لم يغضب لمُعاكسة بسنت؟ اخترق قوانينه من أجل السيشوار؟!

أخرجت المطوة من الكيس الأسود، لو كان أحد قال لي من قبل أن للإنسان قرين من الجن يأتي في أحلامه، ما كنت سأصدقه..! كنت سأسخر منه قائلًا " إن هذه تفسيرات الجهلة التافهين الذين يريدون أن تكون تصرفاتهم ليست بإرادتهم"

القط تقدم نحوي خطوات، ثم ظهر من خلفه عدد كبير من النقط الحمراء..؟! إنها عيون كثيرة..! إنها قطط أخرى..

تمت

شكر خاص

الكاتبة : سماح حافظ

الكاتبة : عبير صالح

١	لا تقل انك رسبت
٢	مريومة
٣	صفعات اخي الحبيب
٤	الموت ليس كورونا
٥	كاتب المهرجان
٦	الحد الثالث
٧	عودة
٨	الفرين
٩	